أحكام الشريف المرتضى النقدية في كتابه الأمالي (دراسة مصطلحية)

د. زهـــرة خليفة سليمان - كلية التربية الزاوية - جامعة الزاوية

الملخص :

يتناول هذا البحث بالدراسة والتحليل أهم المصطلحات النقدية التي اصدرها الشريف المرتضى في كتابه الأمالي، للحكم على بعض الأدباء وأعمالهم الأدبية بالجودة والرداءة، وتحقيقاً للهدف المرجو من هذه الدراسة اعتمدتُ منهج الدارسة المصطلحية، المنهج الذي يمكنه القيام بالوصف والكشف الدقيقين لواقع المصطلح النقدي في (الأمالي)، وتبعاً لذلك فقد سارت دراسة هذا المصطلح على عدة خطوات، أولها عنونة كل مادة بأهم مصطلح فيها ، ثم تحديد المعاني الكبرى للمصطلح الأهم في المعاجم اللغوية والاصطلاحية، تليها ذكر صفات المصطلح وضمائمه ومشتقاته إن وجدت، وترتيب المواد المدروسة كلها ترتيبا هجائياً حسب أوائل فثواني فثوالث الأصل، وبذلك توصلت الدراسة إلىٰ أن أحكام المرتضي النقدية لا تقل عن أحكام جهابذة النقد وفرسانه في العصر العباسي .

Research Summary:

This research deals with the study and analysis of the most important critical terms issued by Sharif Al-Murtada in his book Al-Amali, to judge some writers and their literary works with quality and poor quality. To achieve the desired goal of this study, I adopted the terminological study approach, the approach that can accurately describe and reveal the reality of critical terminology in (Al-Amali). Accordingly, the study of this term proceeded in several steps, the first of which was to title each article with the most important term in it, Then determining the major meanings of the most important term in linguistic and terminological dictionaries, followed by mentioning the characteristics of the term, its affinities and derivatives, if any, and arranging all the studied materials in alphabetical order according to the first seconds and thirds of the origin. Thus, the study concluded that Al-Murtada's critical rulings are no less than the rulings of the masters of criticism and its knights in the Abbasid era.

المقدمة:

الحمد لله الذي علم بالقلم وشرّف العلم وأهله بين الأمم، والصلاة على المبعوث رحمة للعالمين.

وبعد:

بدأ النقد في العصر الجاهلي في صورة بسيطة قائمة عللا الذوق الشخصي، تساوقت مع النص الشعري في شكل أحكام مختصرة تلقى من غير تعليل، فلم يكن نقد القدامى في بدايته مؤسساً علىٰ قواعد فنية، لانعدام المعايير النقدية المتعلقة بالقافية والعروض والأسس الجمالية الفنية التي يقوم عليها الشعر، وظل النقد علىٰ هذه الحال حتى بداية العصر العباسي، فقد شهد النقد في هذا العصر تطوراً ملحوظاً، فلم يعد النقاد يقفون عند الصياغة والشكل، وعند تحديد المعنى واللفظ، بل مضوا يفهمون الشعر ويتذوقونه ويدركون ما يمتاز به شاعر عن شاعر، ويوازنون بين بعض الشعر ويضعونه في طبقات مفضلين بعضهم علىٰ بعضٍ، ويعرفون أمر البيئة والحياة الاجتماعية في فصاحة الشعر، وقوته، ويأخذون أنفسهم لتصحيح النصوص، والتحقق من نسبتها إلىٰ قائليها، وتعد غزارة الثقافة الناجمة عن اختلاط العرب بغيرهم من الأجناس أحد أهم أسباب ازدهار الأدب والنقد في هذا العصر، فقدت تفاعلت الثقافة الوافدة مع الثقافة الأم فأحدثتا تحولاً كبيراً في الذوق، أصبح علىٰ أثره النقد يسير بخطى واسعة إلىٰ الأمام، فاشترك في المناقشات الشعراء والكتاب والمتكلمون، والفقهاء، أبو القاسم على بن الحسين بن موسى بن محمد الموسري الملقب بذي المجدين علم الهدي، عالم من أهل القرن الرابع الهجري، توفى عام (436هـ-7044م)، أهتم في كتابه الأمالي على الرغم من أنه كتاب ديني بنقد الشعر والشعراء، والأدباء عامة، استعان المرتضى في تأويل بعض آيات القرآن الكريم، وبعض الاحاديث النبوية الشريفة التي يبدو التعارض فيما بينها بأبيات من الشعر العربي، ولم يكتف بذلك بل تناولها بالشرح والموازنة والتحليل معبراً عن ذلك بمصطلحات غاية في الجزالة والعذوبة تدل تمكنه من ناصية الأدب واللغة، والمتتبع لمعاني هذه المصطلحات يجدها لم تخرج في شكلها العام على النقد السائد في ذلك العصر، ومن هذه المصطلحات نذكر:

أولاً ـ مصطلحات الاستحسان:

1- الإبداع: ورد مصطلح الإبداع في معاجم اللغة العربية دالاً على عدة معانٍ منها:

أ- **الاختراع:** "أبدع الشيء وابتدعه: اخترعه"[1].

ب- **الاستحداث والاستخراج:** "أبدعت الشيء وابتدعته: استخرجته وأحدثه"[2].

ج- **الغريب:** "البديع في اللغة الغريب من بَدُعَ الشيءُ بضم الدال إذا كان غاية فيه من علم أو غيره حتى صار غريباً فيه لطيفاً"[3].

أمّا في الاصطلاح فهو: "علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية مطابقة الكلام لمقتضى الحال، ورعاية وضوح الدلالة، أي الخلو من التعقيد المعنوي"[4].

أمّا في اصطلاح الأمالي:

فالإبداع هو اللفظ الواقع موقعاً عجيبًا أورده في حالٍ تليق به من الانفراد والتغريب وحسن الاختيار يستفاد ذلك من قول المرتضى في شعر كل من الفرزدق، ونصيب: "... ولا شبهة في أنّ أبيات الفرزدق مقدمة في الجزالة والرصانة على أبيات نُصيب وإن كان نصيب قد غرّب وأبدع في قوله: "ولوْ سَكَتُوا أثْنَتْ عليكَ الحَقائِبُ"[5].

2- التقدم: قال ابن فارس: "القاف والدال والميم أصل صحيح يدل على سبق ورعف..."[6]، "وتقدّمت إليه بكذا أمرته به وقدّمت إليه تقديمًا مثله"[7]، "والمقدَّم نقيض المؤخّر"[8].

وفي الاصطلاح فهو "التفوق الشعري ويكون بقوة الألفاظ ورصانتها وجزالتها وسلامة سبكها وقوة معانيها يستفاد ذلك من قول المرتضى: "... ولا شبهة في أنّ أبيات الفرزدق مقدمةٌ في الجزالة والرَّصانة على أبيات نُصيب، وإنْ كان نُصَيْب قد عرّب وأبدع... والفرزدق مع تقدُّمه في الشعر وبلوغه فيه إلى الذروة العليا، والغاية القصوى شريف الآباء، كريمُ البيت"[9].

3- الجزالة: قال ابن فارس: "الجيم والزاء واللام أصلان: أحدهما: عظم الشيء من الأشياء والثاني القَطْعُ"[10]، وقد كثر استعماله حتى صار كل ما كَثر جَزْلاً"[11].

ومن المجاز: "رجل جَزْلٌ: ذو عقل ورأي"[12]، وما أبين الجزالة فيه أي جودة الرأي"[13]، و"جزالة الرأي متانته"[14]، ومن المعاني الاصطلاحية للجزالة في المعاجم اللغوية قول الزبيدي: "كلام جزل: فصيح جامع" و"اللفظ الجزلُ: حلاف الركيك"[15].

والجزالة في الاصطلاح "عند البلغاء هي: الكلام الذي يُؤتي فيه بألفاظ وتركيب عالٍ ومعانٍ بديعة، وتوضع فيه الكلمة بجوار الكلمة بأحكام وتوافق بحيث إذا أريد وضع كلمة أخرى بدلها ذهب جمال التركيب"[16].

وقال الكفوي: "الجزالة: هي، إذا أطلقت على اللفظ يراد بها نقيض الرفة"[17].

وعرفها ابن الأثير بقوله:" هي متانة الألفاظ وعُذوبتها في الفم ولذاذتها في السمع"[18].

أمّا في اصـــطلاح الأمـالي: فالجزالـة هي الجودة والمتانة والعزوبة في الألفاظ، وقد وصـف بها المرتضـى أبيات الفرزدق: "... هي أجزل ألفاظاً، وأشـد أسـراً، وقد كان الفرزدق شـهورًا بالحسـد على الشـعر والاسـتكثار لقليله والإفراط في اسـتحسـان مستحسنه"[19].

وقد ورد مصطلح الجزالة عند المرتضى مقروراً بغيره على النحو التالي:

1- السهولة والجزالة: ومعناها أن تكون الألفاظ قوية متينة عذبة خالية من التكلف والتعقيد والتعسـف يسـتفاد ذلك من قول المرتضـى في قصـيدة أبي نواس: "وإني لأستحسن القصيدة... لأنها دون العشرين بيتاً، وقد نسب في أولها، ثم وصف الناقة بأحسن وصف، ثم مدح الرجل الذي قصد مدحه واقتضاه حاجته، كل ذلك بطبع يتدفق ورونق يترقرق، وسهولة مع جزالة"[20].

2- الرصـانة والجزالة: ومعناها فصـاحة النّص ومتانة صـياغته، وبعده عن الركاكة، يسـتفاد ذلك من قول المرتضـى في المقارنة التي عقدها بين شـعر الفرزدق ونُصـيب وقدم فيها شـعر الفرزدق على شـعر نصـب حيث قال: "... ولا شـبهة في أن أبيات الفرزدق مقدمة في الجزالة والرَّصانة على أبيات نُصيب"[21].

3- الجودة: قال ابن فارس: "الجيم والواو والدال أصـل واحد، وهو التسمُّح بالشـيء، وكثرة العطاء"[22]، و"الجيّد: نقيض الردي"[23]، ويقال: "اسـتحدث الشـيء وتجودته: تخيرته وطلبت أن يكون جيداً وتجود في صنعته: تنوّق فيها"[24].

أمّا في اصطلاح الأمالي: فالجودة: هي اللفظ الأحسن والأفضل لمقتضـى المقام، وقد شمل هذا الوصف ما يأتي:

أ ــ جودة الكلام عامة يستفاد ذلك من قوله في الحديث عن ابن المقفع وأدبه: "... وكان ابنُ المقفع مع قلّة دينه جيّد الكلام، فصيح العبارة، له حكم وأمثال مستفادة"[25].

ب ـــ جودة الشعر: يستفاد ذلك من قول المرتضى: "... ومن الشعر المشهور بالجودة في ذم الدنيا والتذكير بمصائبها قُول نهشل بن حري يرثي أخاه مالكاً:

ذكرتُ أخي المُخِوَّلَ بعْدَ يَأس

فَهَاجَ عليَّ ذِكْرَاهُ اشتياقي[26]

وقوله في مدح الفرزدق على حسن نقده للشـعر الناجم عن مدى معرفته بفنون الشـعر ونقده وتمكنه من ناصـية الأدب عامة، وتفوقه على غيره من الشـعراء فيه حيث قال: "... وحسـدُ الفرزدق على الشـعر وإعجابه بجيده من أدل دليل على حسـن نقده له وقوة بصيرته به"[27].

5- الحُسن: للحسن في المعاجم اللغوية معنيان هما:

1- **ضدّ القُبح ونقيضه:** قال ابن فارس: "الحاء والسين والنون، أصل واحد، فالحسن ضد القبح"[28]، وقال الجوهري: "الحُسْنُ نقيض القُبْحِ"[29].

2- **الجَمَالُ:** قال الراغب: "الحسن عبارة عن كل مُبهم مرغوب فيه، وذلك ثلاثة أضرب: مستحسن من جهة العقل، ومستحسن من جهة الهوى، ومستحسن من جهة الحسّ"[30]، وقال الفيروزابادي: "الحُسْنُ بالضمِّ الجمالُ"[31]، وظاهره ترادفهما[32]، و"الحسن في تعارف العامة في المستحسن بالبصر، وأكثر ما جاء في القرآن في مستحسن بالبصيرة"[33].

والحسن في المعاجم الاصطلاحية هو: "كون الشيء ملائماً للطَّبع كالفرح، وكون الشيء صفة كمال كالعلم، وكون الشيء، متعلّق المَدْحِ كالعبادات"[34]، وقال العسكري: "... الحُسن على وجهين حسن في التدبير وفي صفة الأفعال والحسن في المنظر على السماع، يقال: صورة حسنة وصوت حسن"[35].

أما في اصطلاح الأمالي الحسن فهو وصف للكلام الحسن في جميع جوانبه الأدبية من تكرارًا وتعريض وكناية وغيرها، وقد ورد هذا المصطلح مضافاً إليه، ويمكن عرضه على النحو التالي:

ـــ حسن الأبيات: حسن الأبيات جمالها، يستفاد لك من قول المرتضى "... ولما بهره من حُسن الأبيات وأفرط بها إعجابُه، ولم يتمكن من دفع فضلها جملة عَدَل في وضعها إلى معنى الخطابة"[36].

3ـ حسن التكرار: للتكرار في القرآن الكريم وظيفتان الأولى دينية وهي تقرير المكرر وتوكيده وإظهار العناية به ليكون في السلوك أمثل وللاعتقاد أين أمّا الثانية فأدبية ودور التكرار فيها متعدد، وإن كان الهدف منه في جميع مواضعه يؤدي إلى تأكيد المعاني وإبرازها في تأويل تكرار قوله تعالى: (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)[37]، "... إذا كان الذي حُسْن التكرار في سورة الرحمن ما عدّده من آلائه، ونعمه فقد عدد في جملة ذلك ما ليس بنعمة"[38].

3- **حسن العبارة:** أي جميل الأسلوب، فيصبح اللسان يحسن صياغة عباراته وبناؤها يستفاد ذلك من قول المرتضى في معرض حديثه عن خالد بن صفوان الأهثميّ[39]، قال المرتضى: "... وكانه خالد مشهورًا بالبلاغة وحُسن العبارة"[40].

4- **حسن اللحن:** اللَّحن هو صرف الكلام عن سننه الجاري عليها، إما بإزالة الإعراب، أو التصحيف، وهو المذموم، وإما بإزالته عن التصريح، وصرفه من

إلى تعريض وفحوى، وهو محمود من حيث البلاغة[41]، ولحن بلجن: إذا أصـــاب وفطن، واللحن أيضـاً التعريض والإشـارة والكناية، يقال: لحنت له بالفتح: إذا قلت لـه قولا لا يفهمه عنك ويخفى عن غيره[42]، ومنه قوله تعالى: (وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ القَوْلِ)[43]، وقد خص بـه المرتضـــى في كتـابـة الأمـالي: الكنـايـة والتعريض في قوله:"... ومن حسن اللحن الذي هو التعريض والكناية"[44]

الأحسن:

للأحسن في كتاب الأمالي معنيان هما:

1- **أحسن:** اسـم تفضـيل من الحُسـن بمعناه الأول: يسـتفاد ذلك من قول المرتضـى في شعر الزُّبعرى:

والخالطون غنيَّهم بفقيدهم

"من أحسن الكلام وأخصره؛ وإنما أراد يُفضلون على الفقير حتى يعود غنياً ذا ثروة"[45].

وقوله: "... ومن أحسن ما قيل في المساواة والمقاربة... قول عباد بن شبل":

إذا اخْتَرتَ مِنْ قومٍ خِيارَ خِيارِهم فكُلُّ بَني عبد المَدانِ خِيارُ[46].

2- **أحسن:** هو الأنسب والأوفق لمقتضى المقام: يستفاد ذلك من قول المرتضى: "وقد أحسن البحتري في قوله:

أخيَّ متى خاصمتَ نفسك فاحْتَشد

لها ومتى حدَّثتَ نفْسَك فاصْدُق[47]

وقوله أيضـاً في بيتي شـعر للحارثة الغُدانيّ: "وأحسـن حارثُة بن بدر الغُداني في قوله:

يا كَعْبُ ما رَاحَ مِنْ قَوْمٍ ولا ابْتكَرُوا

إلَّا وللمَوْتِ في آثارهمْ حادِي

يا كَعْبُ ما طَلعَتْ شِمْسٌ ولا غَرَبَتْ

إلَّا تُقَربُ آجالاً لِمِيعادِ[48]

الاستحسان: الاستحسان: مشتق من الحسن. قال ابن منظور: "والحسن محركة ما حسن من كل شيء، فهو استفعال من الحسن، يطلق على ما يميل إليه الإنسان ويهواه، حسياً كان هذا الشيء أو معنوياً، وإن كان مستقبحاً عند غيره"[49].

وقد ورد بهذا المعنى في كتاب الأمالي في قول المرتضى مادحاً أبيات من الشعر نظمتها الخنساء في رثاء أبيها و أخيها صخراً: "... وإني لأستحسن قول الخنساء، وقد قيل لها: ما مدحت أخاك حتى هجنت أباك، فقالت:

جَارى أباهُ فأقْبَلا وهُما يَتَعاوَران مُلاءةَ الخُضْرِ

حتَّى إذا نَزَتِ القُلُوب وَقَدْ لُزَّتْ هُنَاكَ العذْرِ بالعُذرِ[50]

وقوله في قصيدة أبي نواس: "وإني لأستحسن القصيدة... لأنها دون العشرين بيتاً، قد نَسَبَ في أولها، ثم وصَفَ الناقة بأحسن وصف، ثم مدح الرجل الذي قصد مدحه واقتضاه حاجته، كلُ ذلك بطبع يتدفق ورونق يترقرق، وسهولة مع جزالة"[51].

فالملاحظ على المرتضى أنه استحسن قصيدة أبا نواس لأنه أحسن الاختيار والوصف والإيجاز كل ذلك بطبع يتدفق وسهولة مع جزالة في الألفاظ ورقة في المعاني.

المستحسن: المستحسن: اسم مفعول من الاستحسان بمعناه السابق وقد وصف بها قصيدة لأبي تمام في مدح الخليفة المعتصم: "... ومن مستحسن ما قيل في صفة المصلوب قولُ أبي تمام الطائي في قصيدة يمدح بها المعتصم، ويذكر قتل الأخشين وحرقه وصلبه"[52].

6- الرصانة: ورد في لسان العرب: "رَصُنَ الشيءُ، بالضم، رصانة، فهو رصين: ثبت، وأرصنه أثبته وأحكمه ورصنه: أكمله"[53]، و"الرَّصِين: المحكم الثابت"[54]، و "رَصَنْتُ الشيء أحكمته، فهو مرصون"[55]، "ورصُن الكلام: ثَبُتَ واستحكم"[56].

وقد ورد بمعناه السابق في كتاب الأمالي: مقرونة بمصطلح الجزالة المرادف لها يستفاد ذلك من قول المرتضى: في المقارنة التي عقدها بيت شعر الفرزدق، ونُصب: "... ولا شبهة في أن أبيات الفرزدق مقدمة في الجزالة والرصانة على أبيات نُصيب"[57].

7- الرونق: الرَّوْنَقُ: ماء السيف وصَفَاؤه وحُسْنهُ"[58]، و"رَونَقُ الشَّباب: أوّله ومَاؤه، وكذلك رَوْنَقُ الضُّحى. يقال: أتيْتُه رَوْنَق الضُّحى أي: أوَّلها"[59].

قال ابن الإعرابي: و"التَّرنِيقُ يكون تكْدِيرًا ويكون تَصْفِية... وهو من الأضداد"[60]، ويقال: "رَنَّق الله قَذاَتك أي صَفَّاها"[61].

وورد بهذا المعنى عند الزمخشري: الرونق أي حسن وبهاء[62]، وقال أيضاً: "وذهب رونقه ورنقه كدره كأن معناه ذهب برونقه الذي هو صفاؤه، وماء رنق وريق"[63].

أمّا في اصطلاح الأمالي فقد وردت بمعنى الحُسن والصفاء والجزالة أيضاً وذلك في مدح المرتضى قصيدة للشاعر أبي نواس: "... وإني لأستحسن القصيدة التي من جملتها البيت الذي أوردناه لأبي نواس؛ لأنها دون العشرين بيتاً، وقد نسب في أولها، ثم وَصَفَ الناقةَ بأحسنِ وصفٍ، ثم مَدَحَ الرجل الذي قَصَدَ مدحهُ واقتضاهُ حاجته؛ كل ذلك بطبعٍ يتدفق، ورَوْنق يترقرق، وسهولة مع جزالة"[64].

8- السلامة: ورد في معجم ابن منظور أن: "السُّلامُ والسُّلامةُ: البراءة، وتسَّلم منه: تبرأ"[65].

أما في أمالي المرتضى فقد خُص به مصطلح "السَّبك" دون سواه من صفات حُسن الألفاظ ولهذا الأخير عدة معاني في معاجم العربية منها:

1- **الإذابة:** سَبَكَ الصَّائغُ الفِّضةَ: أذابها وصَنَع منها اشْكالاً للحلي[66].
2- **النَّخلُ:** سَبَكَ الدَّقيقَ وأُنخِلَ أُخَذَ خَالصَهُ[67].
3- **التزين:** سَبَكَ الكَلامَ: حسَّنَهُ ورَصَفهُ وهذَّبهُ[68].

والسَّبكُ في الاصطلاح هو: تهيئة الكلام بحيث يكون وحدة فنية ذات دلالة وتأثير([69])، عرفه أسامة بن منقذ بقوله: "وأما السبك فهو أن تتعلق كلمات البيت بعضها ببعض من أوله إلى آخره"[70]،والسَّبكُ عند صبحي الفقيه هو العلاقات والأدوات الشكلية والدلالية التي تسم في الربط بين عناصر النص الداخلية والخارجية، أي بين أجزاء الجملة، وبين جمل النص، وبين النص وفقراته، وبين النص والبيئة المحيطة أيضاً[71].

أمّا في اصطلاح الأمالي سلامة السبك هي براءته من العيوب ويستفاد ذلك من قول المرتضى: "... وأبيات أبي تمام في نهاية القوة وجودة المعاني والألفاظ وسلامة السَّبك"[72].

9- السهولة: قال ابن منظور: "استسهلَ الشَّيءُ عدّهُ سَهْلاً"[73]، وقال ابن سيده: "السَّهلُ كُلُّ شيءٍ إلى اللينِ وقلةِ الخُشونة".

أمّا في الاصطلاح فالسهولة هي خلو اللفظ من التكلف والتعقيد والتعسف في السبك"[74].

وقد وردت بهذا المعنى مقرونة مع الجزالة في كتاب الأمالي، يستفاد ذلك من قول المرتضى: "وإني لأستحسن القصيدة التي حملتها البيت الذي أوردناه لأبي نواس؛ لأنها دون العشرين بيتاً، وقد نَسبَ في أولها، ثم وصف الناقة بأحسن وصف، ثم مدح الرجل الذي قصد مدحه واقتضاه حاجته، كل ذلك بطبع يتدفق، ورونق يترقرق، وسهولة مع جزالة"[75].

10- الطبع: أصل كلمة "طبع" تدل على معنيين:

الأول: نهاية ينتهي إليها الشيء حتى يختم عنها.

الثاني: طبع الإنسان وسجيته، أي ما طبع عليه الإنسان في مأكله ومشربه، وسهولة أخلاقه وحزونتها، وعسرها ويسرها، وشدته ورخاوته، وبخله وسخاؤه، قال الراغب "الطبع أن تصور الشيء بصورة ما، كطبع السكة، وطبع الدّراهم، وهو أعم من الختم وأحص من النقش"[76].

اصطلاحاً: أثر يثبت على الشيء بعد إحكام غلقه وسده، ويكون لازماً له، لكي لا يدخل فيه شيء ولا يخرج منه شيء[77]. والسبك استعداد فطري أو عبقرية أو موهبة التي يهبها الله من يشاء من عباده[78].

أمّا في اصطلاح الأمالي فهو الشعر المرتجل الذي ينظمه صاحبه على البديهة دون إعداد ولا تكلف يستفاد ذلك من قول المرتضى في مدح قصيدة أبي نواس: "... ثم مدح الرجل الذي قصد مدحه واقتضاه حاجته، كل ذلك بطبع يتدفق، ورونق يترقرق، وسهولتة مع جزالة"[79].

11- الطريف: في اللغة ورد في لسان العرب: العَجِيبُ، الغَرِيبُ، النَّادرُ، والطريفُ في النَّسبِ: الكثير الآباء إلى الجدّ الأكبر[80]، و"استطرفت الشيء: استحدثه"[81]، وقال ابن الإعرابي: "... خير الكلام ما طرفُت معانيه، وشرُفت مبانيه، والتذّه أذان سامعيه"[82].

وفي معاجم الاصطلاحية الطريف: أن يكون المعنى مما لم يسبق إليه على جهة الاستحسان[83]، والطرف أيضاً: القول البليغ المثير للانتباه الذي يتميز بالجدة والطرافة، واظهار البراعة في التفكير، والقدرة علىٰ تسلية القارئ أو السامع والترفيه عنه[84].

أمّا في اصطلاح الأمالي: فالطريف: بمعنى الاستحداث والندرة في نظم الشعر، يستفاد ذلك من قوله "ومن طريف المدح ... قول الشاعر:

وكَأنَّهُ مِن وَفْدِهِ عنْدَ القِرَى لوْلَا مقَامُ المادِحِ المُتَكلِمِ

وكَأنَّه أحَدُ النَّدي ببنائه لوْلا مقالَتُهُ أطِبْ للمُؤْدَمِ[85]

12- الفصاحة: الفصيح من الفصاحة قال ابن فارس: "الفاء والصاء والجاء أصل يدل على خلوص في شيء ونقاء من الشوب، من ذلك: اللسان الفصيح الطليق"[86]، و"أفْصَحَ اللبَّن: سَكَنتْ رَغْوته. وأفْصَح الرجل: تكلَّم بالعربية وفَصُحَ: جادت لغته حتى لا يَلْحَن"[87]، وقال ابن منظور: "الفَّصاحةُ: الْبَيانُ"[88].

وقال أبو زيد: "ما كان فلان فصيحاً، ولقد فصح فصاحة"ن وهو البيت في اللسان والبلاغة:[89]، ونقل الزبيدي عن شيخه قوله: "قال شيخنا: قال أئمة الاشتقاق واهل النظر: مدار تركيب الفصاحة على الظهور"[90].

أمّا في المعاجم الاصطلاحية فتنطلق كلمة الفصاحة على معان منها: وصف في الكلام به يقع التفاض ويثبت الإعجاز وعليه يطلق البراعة والبلاغة والبيان وما شاكل ذلك[91].

وعرفها الجرجاني: فقال: الفصاحة في اللغة عبارة عن الإبانة والظهور، وهي في المفرد خلوصه من تنافر الحروف، والغرابة، ومخالفة القياس، وفي الكلام خلوصه عن ضعف التأليف، وتنافر الكلمات مع فصاحتها... وفي المتكلم ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح[92].

أمّا في كتاب الأمالي فقد ورد هذا المصطلح كصفة للكلام الواضح المعاني الخالي من التعقيد، يستفاد ذلك من قول المرتضى في حديثه عن ابن المقفع: "وكان ابنُ المقفع مع قلة دينه جيّد الكلام، فصيح العبارة، له حكم وأمثال مستفادة، من ذلك... كان يقول: إذا نزل بك أمرٌ مهمّ فانظر، فإن كان مما له جبلةٌ فلا تعجز، وإن كان مما لا حيلة فيه فلا تجزع"[93].

ثانياً ـ مصطلحات الاستهجان:

1- الاختلاف: تدور مادة "خلف" في اللغة حول أصول ثلاثة[94].

أ. أن يجيء شيء بعد شيءٍ، ويقوم مقامه قال تعالى: **(وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً)[95].**

ب. ضد قُدَّام: قال تعالى: **(يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ)[96].**

ج. التغيير: الخُلوف، يقولون خلف فوه إذا تغير وأخلف.

أمّا في الاصطلاح فقد عرفه الراغب بقوله: "الخِلاف والاختلاف... ضد الاتفاق، وأهم أعم من الضد، لأن كل ضدين مختلفان، وليس كل مختلفين ضدين"[97].

وعرفه الكفوي بقوله: الاختلاف هو أن الطريق مختلفاً، والمقصود واحداً، وفرق بينه وبين الخلاف[98].

وعرفه الجرجاني بأنه: "منازعة تجري بين المتعارضين لتحقيق حق أو إبطال باطل"[99].

أما في اصطلاح الأمالي فالاختلاف يعني: التباين والمضادة والمعارضة وعدم المماثلة في النظم وقد وصف بها أبيات إبراهيم المهدي التي نظمها في مدح الخليفة المعتصم، قال المرتضى: "... وأبيات ابن المهدي مضطربة الألفاظ، مختلفة النسج".

2- الاضطراب: الاضطراب من (ضَرَبَ) ومادة الضاد والراء والباء أصل واحد ثم يستعار ويحمل عليه[100]، والضرب: إيقاع شيء على شيءٍ[101]، يقال الموج يضطرب: أي يضربُ بعضاً، وتضرب الشيء واضطرب تحرك وماج[102]، والاضطراب: كثرة الذهاب في الجهات من الضرب في الأرض[103]، وعُبر به عن الأشياء المختلفة فقيل: حالهُ مضطرب أي مختلف[104]. ويقال: اضطرب الحبل بين القوم إذا اختلفت كلمتهم واضطرب أمرهم[105]. أمّا في اصطلاح الأمالي فالاضطراب يدل على اختلال ألفاظ وكلمات القصيدة الواحدة، يستفاد ذلك من النص السابق للمرتضى.

3- التفاوت: مأخوذ من الفوت، وأصله الفرجة بين الأصبعين، تقول: تفاوت الشيئان تفاوتاً، إذا حدث تباعد بينهما[106]، "وفَاتَ الشيءُ، وأفاتَهُ إيّاه غيره، وافْتَاتَ عليه في الأمر حَكَم، وكل من أحدث دونك شيئاً: فقد فاتك بهِ"[107].

أمّا في اصطلاح الامالي فمعنى التفاوت فهو: اختلاف واضطراب وتباين وتباعد كلمات القصيدة وقد وصفت به قصيدة ابراهيم المهدي، يستفاد ذلك من النص السابق للشريف المرتضى[108].

4- عمل الشعر: قال ابن فارس: "الميم واللام أصل واحد صحيح، وهم عامٌ في كل فعلٍ ينفعل"[109]، قال الخليل: "عَمِلَ يَعْمَلُ عملاً، فهو عامل، واعتمل الرجل، إذا عمل بنفسه"[110]، وعمل شيئاً: فعله عن قصد وصنعة[111].

أمّا في اصطلاح الأمالي فالعمل هو وضع الشعر أو تغييره بالزيادة والنقصان ونسبه إلى غير أهله عن قصد وعمد، وقد وصف بها المرتضى حمّاد جرد حيث قال: "وكان حمّاد مشهوراً بالكذب في الرواية وعمل الشعر، وإضافته إلى الشعراء المتقدمين ودسّه في اشعارهم"[112].

وقد كان حماد مشهوراً بذلك بين الأدباء والنقاد والكُتاب عامة فقد قال عنه المفضل الضبي: "... قد سُلط على الشعر من حماد الرواية ما أفسده فلا يصلح أبداً فقيل له: وكيف ذلك أيخطئ في روايته أم يلحن؟ قال: ليته كان كذلك، فإن أهل العلم يردون من أخطا إلى الصواب، لا ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها، ومذاهب الشعراء ومعانيهم، فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل ويدخله في شعره، ويحمل ذلك

عنه في الآفاق، فتختلط أشـعار القدماء ولا يتميز الصـحيح منها إلا عند عالم ناقد وأين ذلك"[113].

وقال خلف الأحمر: كنت أخذ من حماد الراوية الصـحيح من أشـعار العرب وأعطيه المنحول، فيقبل ذلك مني ويدخله في اشـعارها، وكان فيه حُمق[114]، وقال عنه ثعلب: "كان حماد الرواية مشـهوراً بالكذب في الرواية وعمل الشـعر وإضـافته إلى المتقدمين حتى يقال: إنه أفسد الشعر وقد عده بعضهم في الزنادقة"[115].

5- الكذب: الكذب ولغةً نقيض الصـدق، يُقال: كَذَبَ يَكْذِبُ كَذِبا وكَذْباً. وتقول كَذَّبتُ الرَّجلَ: إذا نَسبتهُ إلى الكذبِ، وأكْذَبتهُ: إذا أخْبرت أنَّ الذي يحدِثُ به كَذِب[116].

وفي الاصطلاح: هو الإخبار بشيء بخلاف ما هو عليه مع العلم بحقيقته وواقعه قال أبو الوفاء ابن عقيل: "الكَذِبُ: هو الخَبرُ عن الشـيء على خلاف ما هو به"[117]، وزاد عن ذلك النووي فقال: "الإخبار عن الشـيء على خلاف ما هو، عمداً كان أو سهواً، سواء كان الإخبار عن ماضٍ أو مستقبلٍ"[118].

أمّا في اصـطلاح الأمالي فالكذب معناه وضـع وتبديل الأشـعار ونسـبتها إلى غير أصحابها، وقد خصَّ به الشريف المرتضى الراوية حمّاد: يستفاد ذلك من النص السابق.

الخاتمـــــة

من خلال دراستي للمصطلحات النقدية في كتاب الأمالي للشريف المرتضى توصلت إلى ما يأتي:

1- إن اختيار المرتضى للأشعار كان مبنية على مبدأ الجودة، وليس على مبدأ القدم، فهو يختار ما استحسنه من الشعر بعض النظر عن قدم صاحبه أو حداثته ولذلك حلت الأشعار العباسية في المرتبة الأولى في أماليه.

2- إن مصطلحاته النقدية أقيمت على أسس معنوية ولفظية فالدارس للأمالي يلاحظ أن اهتمامه بالمعنى لا يقل على اهتمامه باللفظ.

3- أحكامه النقدية لم تخرج في عمومها عما كان سائداً في عصره بين نقاد الأدب.

4- إن مصطلحات الاستحسان هي الأكثر نسبة في هذا الكتاب ربما السبب في ذلك أن الغرض من استشهاد المرتضى بالشعر وأصحابه كان لهدف الاستعانة به في تأويل بعض آيات القرآن الكرمي والحديث الشريف، ويأتي مصطلح "الحسن" ومشتقاته في المرتبة الأولى من حيث العدد ثم مصطلح الجزالة فالجودة فبقية المصطلحات.

5- إن مصطلحات الاستهجان وردت قليلة جداً مقارنة بمصطلحات الاستحسان نظراً لطبيعة الكتاب ذاته.

الهوامش :

(1) مقاييس اللغة. أبي الحسين أحمد بن فارس، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399ه – 1972م، مادة : بدع.
(2) السابق: بدع.
(3) نفسه.
(4) البديع: لعبدالله بن المعتز، نشر: اغناطيوس كراتشوفسكي، دار المسيرة، الطبعة الثالثة، بيروت، 1402هـ-982م، ص58.
(5) الأمالي (غرر الفوائد ودرر القلائد) :الشريف المرتضى، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا_ لبنان ، 1426ه _2005م، ج1 :86.
(6) مقاييس اللغة: قدم.
(7) السابق: قدم.
(8) نفسه: قدم.
(9) الأمالي: 1/86.
(10) مقاييس اللغة / جزل.
(11) السابق / جزل.
(12) نفسه.
(13) نفسه.
(14) نفسه.
(15) نفسه.
(16) نفسه.
(17) نفسه.
(18) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، وكامل المهندس، مكتبة لبنان_بيروت، ط2، 1948م، ص228.
(19) الأمالي: 1/83.
(20) الأمالي، 1/280.
(21) السابق، 86.
(22) مقاييس اللغة: جود.
(23) السابق : جود.
(24) نفسه :جود.
(25) الأمالي: 1/512.
(26) السابق: 2/1094.
(27) نفسه: 1/85.
(28) مقاييس اللغة: حسن.
(29) الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية. إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، الطبعة الثالثة، 1404ه _ 2005م، مادة: حسن.
(30) المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني. تحقيق: محمد سيد كيلاني، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الأخيرة، 1381ه _ 1983م، ص: 119.
(31) القاموس المحيط، الفيروزأبادي الشيرازي، دار الفكر، بيروت، 1403ه _ 1983م، مادة : حسن.

(32) مقاييس اللغة: حسن.
(33) السابق: حسن.
(34) نفسه: حسن.
(35) الفروق في اللغة، لأبي هلال العسكري، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى، 1393هـ-1973م، ص256.
(36) الأمالي: 2/194.
(37) سورة الرحمن / 13.
(38) الأمالي / 144: 1.
(39) الأمالي / 226: 2.
(40) الأمالي / 226: 2.
(41) معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، لمحمود عبدالرحمن عبدالمنعم.
(42) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى 2000م، مادة: لحن.
(43) سورة محمد، الآية / 30.
(44) الأمالي/ 43:1.
(45) الأمالي: 2/232.
(46) السابق: 1/121.
(47) نفسه: 2/197.
(48) نفسه:2/196.
(49) لسان العرب :حَسُنَ.
(50) الأمالي: 1/118.
(51) السابق: 1/280.
(52) نفسه : 2/212.
(53) لسان العرب: رصن.
(54) السابق.
(55) نفسه.
(56) نفسه.
(57) الأمالي: 1/86.
(58) اللسان: رنق.
(59) نفسه.
(60) الأمالي: 2/280.
(61) لسان العرب: رنق.
(62) أساس البلاغة، أبو القاسم الزمخشري،تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت_لبنان، الطبعة الأولى، 1419ه_1998م، ج1:391.
(63) السابق.
(64) الأمالي:2/280.
(65) لسان العرب / سلم.
(66) مختار الصحاح، زين الدين الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت-صيدا، الطبعة الخامسة، 1420ه _ 1999م، مادة: سبك.
(67) لسان العرب / سبك.
(68) ينظر السابق.

69 معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص:228.
(70) البديع في نقد الشعر، أسامة بن منقذ، تحقيق: أحمد بدري، وحامد عبد الله، طبع وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الجمهورية المتحدة، بدون تاريخ، ص:163.
(71) ينظر علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي ابراهيم الفقي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ج1، 2000م، ص97.
(72) الأمالي:2/214.
(73) لسان العرب: سهل.
(74) المعجم الوسيط، سهل.
(75) الأمالي : 1/280.
(76) المفردات، ص515.
(77) ينظر: تهذيب اللغة، الأزهري، 9/143، مقاييس اللغة، ابن فارس، 5/17.
(78) ينظر معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب،ص:233.
(79) الأمالي، 1/280.
(80) ينظر لسان العرب: / طرف.
(81) السابق.
(82) نفسه.
(83) نقد الشعر، قدامة بن جعفر، مطبعة الجوانب، قسطنطينة، الطبعة الأولى، ص54.
(84) معجم المصطلحات العربية في اللغة واللأدب،ص:383.
(85) الأمالي، ج2، ص:250.
(86) مقاييس اللغة: فصح.
(87) السابق.
(88) لسان العرب : فصح.
(89) مقاييس اللغة: فصح.
(90) السابق.
(91) ينظر دلائل الإعجاز في علم المعاني،عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني القاهرة_ دار المدني بجدة، الطبعة الثالثة، 1413ه _ 1992م،ص: 60.
(92) ينظر: التعريفات: الشريف الجرجاني الحنفي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1403هـ-1983م، ص167.ينظر كذلك معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب،ص:273.
(93) الأمالي : 1/152.
(94) ينظر مقاييس اللغة : خلف.
(95) الفرقان : 62.
(96) البقرة: 255.
(97) المفردات في غريب القرآن، الراغب الاصفهاني، تحقيق: محمد سيد كلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1403هـ-1983م، كتاب الخاء، مادة خلف.
(98) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص60.
(99) التعريفات، الشريف الجرجاني، ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص101.
(100) مقاييس اللغة: ضرب.

(101) المفردات: 295.
(102) لسان العرب: ضرب.
(103) المفردات / 295.
(104) لسان العرب:ضرب.
(105) ينظر المفردات:295.
(106) ينظر لسان العرب:فوت.
(107) السابق.
(108) ينظر مصطلح "الاختلاف".
(109) مقاييس اللغة : عمل.
(110) لسان العرب:عمل.
(111) مقاييس اللغة:عمل.
(112) الأمالي: 1/148.
(113) الأغاني: أبي فرج الاصفهاني، 6تحقيق: سمير جابر، دار الفكر _بيروت، الطبعة الثانية،ج89/6.
(114) لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني، تحقيق عبد الفتاح أبي غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، الطبعة الأولى، 1423ه _ 2002م،ج351/1.
(115) الأغاني: 89/6.
(116) ينظر العين: الخليل الفراهيدي، تحقيق: مهدي مخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار وكتبة الهلال، مادة: كذب، ولسان العرب مادة: كذب.
(117) ينظر الواضح في أصول الفقه، ابن عقيل، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان_ بيروت، الطبعة الأولى، 1420ه_ 1999م ،2/129، وينظر كذلك فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، المكتبة السلفية، مصر، سنة 1380ه، ج1/ 201.
(118) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، 1392ه،ج1/ 96.